

العربية لغة المستقبل للأمة لغة الإنسانية

بقلم عزيد بن عبد العزيز بن فياض

مدير عام المكتبات - الرياض

لرسول من العرب خاتما للتبئين ودينه لكل دين
وشريعته اعظم شريعة . ولا غرابة ان يقع الترابط
بين الدين واللغة وان يكون كل واحد منهما سبيبا
لانتشار الآخر : الدين بنقائه وبراهينه وبقينه وتحقيقه
للسعادة الدنيوية والابدية واللغة العربية بوضوحها
وسلاستها واتساع افقها وتنوع مدلولاتها كما قال
عنها حافظ ابراهيم :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظمت
كيف اضيق اليوم عن وصف آله
وتسبيق أسماء لمخترعات
انا البحر في احشائه الدر كامن
فهل سالوا الغوامس عن صدفاتي

ومعرفة اللغة عامل قوي في فهم الدين وادراك
معاني القرآن الكريم فمعرفة جزء من الدين وتعطى
الوسيلة فيه حكم الغاية لان ما لا يتم الواجب الا به
فهو واجب حسب القواعد الاصولية المعلومة .

« فان الله لما انزل كتابه باللسان العربي وجعل
رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي
وجعل السابقين الى هذا الدين متكلمين به لم يكن
سبيل الى ضبط الدين ومعرفة الا بضبط هذا اللسان
وصارت معرفته من الدين وصار اعتياد التكلم به
اسهل على اهل الدين في معرفة دين الله واقترب الى
اقامة شعائر الدين واقترب الى مشابهتهم للسابقين
الاولين من المهاجرين والانصار في جميع أمورهم (1) »

الصلة بين الاسلام واللغة العربية ساطعة
كالشمس في اشراقها كيف لا والقرآن نزل بلسان
عربي مبين على رسول عربي كريم والاسلام وهو
خاتم الاديان واكملها جاء لهداية البشرية واسعادها
دنيا واخرى في جميع شئونها على مستوى الفرد
والجماعة وعلى نحو يحقق الغاية المثلى في الدين
والسياسة والاقتصاد وهدوء النفس واطمئنان البال
(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام ديناً) .

لقد كانت الشرائع قبله لا تقوام مخصوصين اما
الاسلام فهو للناس اجمعين ولذا يقول الرسول
صلى الله عليه وسلم : وكان النبي يبعث الى قومه
خاصة وبعثت الى الناس عامة .

وكيف السبيل الى انهم مئات الملايين من
الناس هذا الدين وذلك التشريع ما لم يكن بلغة
تجمع بين السهولة والشمول ؟ وتحوي خصائص
مميزة لا تتوفر في أية لغة اخرى من لغات العالم لغة
لا تستعصى على الفهم ولا تنبو عن الذوق ولا تعجز
عن البيان ومن لطف الله بعباده ان نزل القرآن بلسان
عربي على رسول عربي .

« والعرب هم افهم من غيرهم واحفظ واقدر
على البيان والعبارة ولسانهم اتم الالسننة بياننا
ونميزا » .

ولا بد بعد ذلك ان يكون القرآن بلغة العرب .
ولم يكن من قبيل الصدفة او الاعباط اختيار الله

(1) اقتضاء الصراط المستقيم ص 162 - 163

والمسلم مكلف شرعا ان يتدبر القرآن وكيف يتأتى له تدبره اذا لم يكن يعرف اللغة العربية ومغروض عليه قراءة الفاتحة في كل ركعة من صلاته ولا يجوز قراءتها في الصلاة مترجمة الى لغة اخرى والالفاظ المشروعة في الصلاة والصيام والحج والادعية والاذكار : كيف يؤديها اذا لم يعرفها ويجد نطقها بالعربية وكيف يفهم التفسير والحديث اذا لم يعلم اللغة العربية وكيف يعرف سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلف هذه الامة اذا لم يكن له الملم باللغة العربية ان ذلك كله مما يدعو المسلم الى العناية باللغة العربية وفهمها لان بواسطتها يفهم الدين . اذا فان الدين يدعو الى نشر اللغة العربية والى بثها في اصقاع الدنيا حتى تكون عالمية وهى لغة عالية بحق تجد صدق في النفوس وتشوقا للاطلاع على مفرداتها ومراميتها واسرارها . فهى ذات جرس اخاذ ونبرات صريحة ومعان غزيرة ومدلولات متنوعة كل يجد فيها ما بغيته وينال مراده في غير حصر او اعياء ودون تكلف او عناء فيها اللفظ الرقيق البالغ في الرقة غايتها وفيها الكلم القارص والقول الجزل والخطاب الرصين والجمال الحاوية لكل مقام ما يناسبه ولكل حال ما يوائمها .. وليس المرء بحاجة الى انتحال الدليل وتكلف الحجة على جمال هذه اللغة العظيمة وتقبل النفوس لها لان ذلك واضح للعيان وجلي في التبيان لا يعترى فيه الا معاند . ويكني انها الآن لغة لمائة مليون نسمة تمتد رقعة اراضيهم بين تارتين من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي وكانت ابان النبوة وتنزل الوحي من السماء لغة اهل الجزيرة العربية وحدهم وقد انتشرت في اوقات مزدهرة من العصور الاسلامية من الصين حتى الاندلس وانطوت فيها لغات عدة كأمس الدابر بعد ان رضي اهلها باللغة العربية التي وجدوا فيها بغيتهم وعرثوا فيها على ضالتهم وما برح المسلمون من غير العرب يتفوهون بكلمات عربية كثيرة وفي تركيا وايران المثل الحي على ما نقول . هذا مع ما اصاب المسلمين من بلاء الاستعمار . والمحاولات الكثيرة والجهود الكبيرة التي بذلت وتبذل لقطع صلة المسلمين بدينهم ولغة قرآنهم ورسولهم . ولولا قوة هذا الدين وتكفل الله بحفظه وما في لغة العرب من خصائص حباها الله بها لكان المستعمرون أعداء العرب والمسلمين قد قضاوا على الدين وعلى اللغة العربية ومن العجب ان يظل الدين واللغة رغم تكاليف

الاعداء وتوالى المحن تويين عزيزين وان في الجزائر التي رزحت تحت نير الاستعمار قرنا وثلاثين سنة لمعجزة من معجزات القرآن (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فيقي الدين بها صامدا كالطود وما برحت اللغة العربية سامقة تلفظ العجبة الدخيلة وتنبذ رطانة المستعمر المطرود .

« كتب جول فرن قصة خيالية بناها على سياح يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى يصلوا او يدنوا من وسطها ولما ارادوا العودة الى ظاهر الارض بدا لهم ان يتركوا هناك اثرا يدل على مبلغ رحلتهم فنقشوا على الصخرة كتابة باللغة العربية ولما سئل جول فرن عن وجه اختياره للغة العربية قال : انها لغة المستقبل (1) »

لقد كان فهم اللغة العربية سببا لانتشار الاسلام بين القبائل العربية في جزيرة العرب ذلك ان بلاغة القرآن وفصاحته واعجازه مما يبهر العقول ويحير الابواب فوقف البلغاء والفصحاء مشدوهين امام بلاغته الباهرة . وقد عجزوا عن الاتيان بسورة من مثله أو آية وفيهم المكذوبون المعاندون الذين يودون معارضته ويتمنون القدرة على ان يأتوا بمثله وانى لهم ذلك وهو كلام الله رب العالمين (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

وحين ادعى من المشركين من ادعى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحر وكذاب وانه تلقى الكتاب من شخص اعجبى تحداهم الله ان يأتوا بمثله او بمثل سورة منه مظهر عجزهم وبان خطؤهم . فتيقن الكثيرون منهم صحة هذا الدين وسلامته وبعده عن السحر والكهانة والافتراء ودخلوا فيه طائعين — بعد ان شهدوا من البراهين ما يقنع ومن الحجج ما يجلو الشك ويزيل الارتياب . ولقد كان الدين هو الآخر سببا في انتشار اللغة العربية فقد اتبعت البلدان والشعوب التي اعتنقت الاسلام لما علمت وضوحه ويسره وعدالته وشموله لخيري الدنيا والاخرة على تعلم اللغة العربية وتفهمها مما سبب انتشارها على نطاق واسع لم يعد محصورا في جزيرة العرب وما حولها وانما امتد آلاف الاميال وحتى نسيبت شعوب كثيرة لغاتها الاصلية واصبحت اللغة العربية لغتها الوحيدة بها تعتمز واليها تنتمي عن قناعة واطمئنان

(1) انظر ص 12 من كتاب القياس في اللغة العربية تأليف : محمد الخضر حسين — القاهرة —

الحابل بالنابل ويضيع الصحيح بين السقيم ولم تسلّم لغة التخاطب غالباً من اللحن والتحريف وان سلّمت الكتابة في اعظم الاحيان من هذا الداء الوييل . وصار في كل قطر لهجة يعرف بها فيها من مخالفة القواعد العربية والتراكيب النحوية ما فيها . وان كانت لغة العرب ليست مجهولة لديهم اذا حدثوا بها أو سمعوها عنى ان الحديث بها سليم من الاخطاء النحويّة والتراكيب العربية ليس بإمكان كل أحد ان يأتي به عنى نحو متكامل .

واللهجة في نجد من اقرب اللهجات الى العربية والالفاظ غير العربية منها قليل ومنها ما هو بلغة احدى قبائل العرب الكبرى غير قريش وهى تميم كتسهيل الهزة مثلاً فيقولون راس بدلا من رأس وما يتكلم به اهل نجد فيمكن ارجاعه الى اصل عربي غالباً وان شابه بعض من التفسير الطفيف هذا من ناحية الالفاظ ومدلولاتها .

أما من ناحية القواعد العربية من نحو جر المنصوب ورفع المجرور ونصب المرفوع فهذا كثير بين العامة ولا يقدر على تمييزه الا من عرف قواعد النحو كفن من الفنون العربية المهمة . واللغة العربية هي اللغة الاولى تخاطبا وكتابة في الدوائر الرسمية والشركات والمؤسسات وبين الافراد وفي المدارس والمجتمعات . وفي بعض المراحل الدراسية يدرس التلاميذ اللغتين الانجليزية والفرنسية ومع ذلك فان اللغة العربية هي التي تحتل المكانة البارزة والعناية الفائقة ولا تنافسها أو تجارها اية لغة اخرى وقد مضت ترون طويلة على الجزيرة العربية وما فنئت تولي اللغة العربية من العناية ما هي به جديرة وظلت هي اللغة الاولى ليس معها منازع أو منافس . وبعد فان العالم الذي يسمى للتقارب والتفاهم ويكون المنظمات الدولية لتبادل الراي واستقرار السلم والتعارف بين الامم في حاجة الى لغة موحدة يستطيع بواسطتها ان يجد الوسيلة الفضلى لتفاهم ولا بد من أن تكون اللغة المطلوبة وافية بالغرض واضحة الاساليب غنية بالفاظها ومفرداتها واشتقاقاتها وتعريبها ونحتها لتساير التطور وتتمشى مع الاحتياجات الجديدة والمخترعات الحديثة .

وليس هناك لغة تفي بهذا الغرض سوى اللغة العربية التي بها نزل القرآن واستمرت على مدى القرون المتطاولة قوية منتشرة متفرقة استهدت منها لغات كثيرة الفاظا وعشقتها أم فنسوا لغاتهم

لانها لغة القرآن العظيم وتحتوي على ما يريد المرء في ارقى لغة وأجلها . وضعف اللغة العربية دليل على ضعف الدين في النفوس فكما اعرض الناس عن لغة القرآن وتعلقوا بلغات اجنبية شغفوا بتلك اللغات وقلدوا اهلها وشابهوهم في اخلاقتهم وعاداتهم ونتج عن ذلك استخفاف بلغة العرب وابتعاد عن مهم الدين ودراسته . وللغة دور مهم جدا في التأثر والمثابة . ونظرة الى بعض المثقفين ثقافة اجنبية تعطي المثل الصارخ على مدى اعجابهم بأولئك الاجانب واعتزازهم بعاداتهم وأخلاقهم واشادتهم بكل ما لديهم من حرية مزعومة وتفكير حر وانطلاق بلا حدود وتتشدق بحضارتهم ورتقيهم وقد يطعنون في الاسلام واحكامه وتشريعاته وفي الاخلاق الكريمة والمثل الرفيعة في بلاد المسلمين ويتهكمون باللغة العربية وآدابها . وما ذلك الا من اثر البعد عن الدين والجهل باللغة العربية والحكم على الشيء قبل تصويره !

ومنذ بزوغ الاسلام واللغة العربية عنوان على الاسلام تقوى بقوته وتضعف بضعفه ويتكمن اذا عزت ويهون اذا ذلت وقد تختلف مظاهر الضعف وأنواعه فتديكون تشبها بالخرافات والوثنيات والتفاهات وقد يكون الحادا وشيوعية وماسونية ووجودية وانحلالا يتمثل ذلك في القرامطة والباطنية واتباعهم من جهة وفي عباد الاولياء والصالحين ومشيدي الاضرحة على القبور من جهة ثانية . ان لغة العرب التي بها نزل القرآن هي لغة تفي بجميع المتطلبات في اللغة وان تأثير الفاظ القرآن واللغة العربية في اللهجات واللغات الاقليمية من غير العرب كثير من الصعب حصره وفي اللغات المختلفة في البلدان الاسلامية او التي تقطنها اغلبية مسلمة الفاظ عربية صميّة هي من الكثرة بحيث لا يمكن استيعابها واحصاؤها . فاللغة الفارسية والاردية والتركية فيها من لغة العرب الشيء الكثير. وتأثير الفكر الاسلامي واللغة العربية واللهجات لغير العرب من المسلمين هو من الكثرة والوضوح مما لا يحتاج الى جدل ولا سبيل الى نكرانه ولا ريب ان اللغة العربية قد اطل عليها التحريف تدينا بسبب اختلاط اهل الجزيرة العربية بالاعاجم لذا امر الامام علي رضي الله عنه ابا الاسود الدؤلي أن يضع قواعد للغة العربية لتكون بمنأى عن التحريف والضياع والف سيوييه امام النحاة « الكتاب » وقام علماء الاسلام من عرب وعجم بتأليف القواميس والمعاجم وكتب النحو لتمييز لغة العرب من لكنة الاعاجم ولبيان ما هو لغوي فصيح وما هو منتحل مدخول لئلا يختلط

التدنية وفضلوا اللغة العربية عليها لما فيها من جمال
وجزالة واتساع .

وفي كل يوم يزداد المتكلمون بها والدارسون
لاساليها وبيانها والمشيرون بعظمتها في الشرق
والغرب . ولم تكن اللغة العربية بهذه الصفات
الفاخرة صدفه واعتباطا فهي اللغة التي نزل بها
القرآن الكريم على رسول عربي بعثه الله الى الناس
لجميعين وجعل شريعته للبشر كافة . لذا فلا غرو ان
تكون اللغة العربية على ارقى مستوى واعلى درجة
من التبريز والتفضيل على سائر اللغات نصبت توية
شامخة على الرغم من تكالب الاعداء والمحاولات
اليايسة لتحطيمها ومحوها من الوجود . ان فضل
اللغة العربية جلي لا يحتاج الى براهين ولكن لا بأس
من ذكر بعض الاموال الحميفة والنعموت الصادقة
للغة العربية العظيمة .

قال الامام الشافعي فيما رواه السلفي باسناده :
ينبغي لكل احد يتعلم العربية ان يتعلمها لانها
اللسان الاولى .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية (1)

واما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي
شعار الاسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة
للمصر واهله ولاهل الدار وللرجال مع صاحبه ولاهل
السوق او للامراء او لاهل الديوان او لاهل الفقه فلا
ريب ان هذا مكروه فانه من التشبه بالاعاجم .

ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا ارض
الشام ومصر ولغة اهلها رومية وارض العراق
وخراسان ولغة اهلها فارسية واهل المغرب ولغة
اهلها بربرية عودوا اهل هذه البلاد العربية حتى غلبت
على اهل هذه الامصار مسلمهم وكافرهم وهكذا كانت
خراسان تدبها ثم تساهلوا في امر اللغة واعتادوا
التخاطب بالفارسية حتى غلبت عليهم وصارت العربية
مهجورة عند عند كثير منهم ولا ريب ان هذا مكروه .
وانما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية حتى
يتلغنها الصغار في الدور والمكاتب فيظهر شعار
الاسلام واهله ويكون ذلك اسهل على اهل الاسلام
في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف بخلاف من
اعتاد لغة ثم اراد ان ينتقل الى اخرى فانه يصعب

(1) اقتضاء الصراط المستقيم ص 206 .

(2) الزهر في اللغة وانواعها للسيوطي ج 1 ص 321 - 322

(3) الزهر ج 1 ص 342 - 343

عليه . واعلم ان اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق
والدين تأثيرا قويا بينا ويؤثر ايضا في مشابهة صدر
هذه الامة من الصحابة والتابعين ومشايتهم تزيد
العقل والدين . وايضا فان نفس اللغة العربية من
الدين ومعرفتها فرض واجب فان فهم الكتاب والسنة
فرض ولا يفهم الا بفهم اللغة العربية وما لا يتم
انواجب الا به فهو واجب .

وقال ابن فارس في فقه اللغة :

« لغة العرب افضل اللغات واوسعها قال تعالى
(وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين .
عنى تلكم لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)
فوصفه سبحانه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان
وقال تعالى (خلق الانسان علمه البيان) فقدم سبحانه
فكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرده بانشائه
من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق
المحكمة والنشاي المتتنة فلما خص سبحانه اللسان
العربي بالبيان علم ان سائر اللغات قاصرة عنه
وواقعة دونه (2)

وقال الفارابي في ديوان الادب :

« هذا اللسان كلام اهل الجنة وهو المنزه من
بين الالسنه عن كل نقيصة والمعلى من كل خسيصة
والمهذب مما يستهجن او يستشنع فبين مباني باين بها
جميع اللغات من اعراب اوجده الله وتأليف بين حركة
وسكون حلاه به فلم يجمع بين ساكتين او متحركين
متضادين ولم يلاق بين حرفين لا يأتلفان ولا يعذب
النطق بهما او يشنع ذلك منها جرس النغمة وحسن
السمع كالغنين مع الخاء والقاف مع الكاف والحرف
المطبق مع غير المطبق مثل تاء الافتعال مع الصاد
والضاد في اخوات لهما والواو الساكنة مع الكسرة
مع الكسرة قبلها والياء الساكنة مع الضمة قبلها في
خلال كثيرة من هذا الشكل لاتحصى (3)

وقال السيد رشيد رضا : « انه لما كان الاسلام
دينا اصلاحيا عاما لجميع البشر كان من اصوله دعوة
الامم كلها الى التوحيد في الدين والشرع واللغة التي
هي اعظم مقومات الامم التقيسية والسياسية
والاجتماعية لتكون الامة الاسلامية بهم متحدة لا

يفصل بين أفرادها ولا جامعاتها شيء من اختلاف
الانساب والاطوار .

كما أنه لما كان الإسلام دين التوحيد ديناً عاماً
لكل البشر وكان من مقاصده أن يؤلف بينهم فرض
عليهم توحيد اللغة فخرجت هذه اللغة عن أن تكون
لغة شعب واحد منهم ولولا ذلك لم تؤثرها جميع
الشعوب الإسلامية على لغاتها حتى عم انتشارها في
المشرق والمغرب مع الإسلام .

وقال الأستاذ حسين المهداني الباكستاني :
« انه ليس في مكة العالم الإسلامي أن يحكم اتصالاته
أو يدعم روابطه إلا إذا اتخذ اللغة العربية لغة مشتركة
اتقن دراستها وواجبنا أولاً أن نتخذ الحروف المطبعية
العربية حروفاً بها نكتب لغاتنا، فعلى العالم الإسلامي
أن يخطو هذه الخطوة وأن يتخذ العربية لغة واحدة .»

**واللغة العربية من الروابط المتينة بين الشعوب
الإسلامية لأنها لغة القرآن والتحدث بها والكتابة على
توابعها وأساليبها مما يقرب صاحبها من السلف
الذين يدرسون اللغة ويعنون بها لتكون مساعداً لهم
على فهم القرآن وتدبره وكان ابن عباس وعائشة
رضي الله عنهما وغيرهما يستشهدون بالأشعار التي
تالها شعراء العرب عند تفسير الآيات ويحفظون من
الشعر الشيء الكثير .. ومعرفة لغة العرب سبيل
لاقتناء السابقين الأولين من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان حيث كانوا يتحدثون بهذه
اللغة ويتعمقون في فهمها وسيلة لفهم الشريعة
أصولها وفروعها ..**

فإن « اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها
يتبazon » . ولهذا كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم
يكرهون في الأدعية التي في الصلاة والذكر أن يدعى
الله أو يذكر بغير العربية ..

فأما القرآن فلا يقرؤه بغير العربية سواء قدر
عليها أو لم يقدر عند الجمهور وهو الصواب الذي لا
ريب فيه . بل قال غير واحد أنه يمنع أن يترجم سورة
أو ما يقوم به الإعجاز (1) وقد رأيت بحثاً جيداً لأحد
المعاصرين وهو الأستاذ أنور الجندي في كتابه :
« اللغة العربية بين حمايتها وانصارها فأحببت إيراده
لما فيه من فوائد :

« كانت مخالفة للنواميس الطبيعية التي عرفت
لختلف اللغات فقد ظهرت شابة مكتملة دون أن تمر

بمرحلة طفولة أو تتعثر في طريق طويل . وكان
نضوجها من الإعجاب التي شغلت كبل الباحثين
والعلماء .

والإعجاب من هذا أنها عاشت قرابة الف وخمسة
سنة وهي تؤدي مهمتها على نحو متحرك تجاوزت
فيه مع الزمن والتطور تفردت حتى بين اللغات
السامية باطراد الأوزان وقواعد التعريب وقواعد
الأعراب .

واستطاعت أن تجري مع الحضارات وتلبس
مطالبها ، وقد أكد الباحثون أن بقاء اللغة العربية على
هذا النحو يكاد يكون معجزة من المعجزات وليس
أعجب من هذا ونحن ندرس هذه اللغة أن نجد غنى
غناء لا حد له .

فقد قال الخليل في كتاب العين : أن عدد ابنيّة
كلام العرب المستعمل والمهمل (12ر305ر412) كلمة
ولعله أراد ما يمكن تكوينه بتركيب أحرف الهجاء على
كل شكل من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي .
وقال الحسن الزبيدي : أن عدد الألفاظ العربية
6ر699ر400 لفظ لا تستعمل منها إلا 5620 لفظاً
والباقي مهمل .

وقد كان الإسلام عاملاً ضخماً من عوامل اللغة
العربية وبالرغم من أنها خرجت من الجزيرة واتجهت
إلى الفرس والهند والشام ومصر وعبرت البحار إلى
أفريقيا الجنوبية فالاندلس فأنها استطاعت أن تحتفظ
بمفاحتها ووحدتها وكيانها رغم اختلاطها بلغات
أخرى . بل أنها استطاعت أن تزيح هذه اللهجات وأن
تملي لغتها على هذه الأمم فإن لم تسيطر سيطرة
كاملة أثرت تأثيراً كبيراً بروحها وأفكارها .

وفي الشام وما بين النهرين سادت العربية على
اللغات السريانية والكلدانية والنبطية والآرامية ..

وفي مصر سادت العربية وحلت محل اليونانية
والقبطية والسريانية قبل أن ينقضي القرن الأول
الهجري ...

وقد انتشرت الحروف العربية بانتشار الحضارة
الإسلامية وكتبت بها اللغات التركية والفارسية
والأردية والأفغانية والكردية والمغولية والبربرية
والسودانية والأبجية والساحلية كما كتبت بها لغة
أهل الملايو وغيرهم ممن يبلغون 250 مليوناً ماعداً نحو 90

(1) اقتضاء الصراط المستقيم ص 402

ولسنا في شك من عظمة لغتنا العربية حتى نحتاج الى شهادات من المستشرقين . وانما نذكر امثلة ترد بها على تساؤل قد يورده متفلسف او متحذلق . وليعلم من يردد كلمات يسمعا دون ان يدرك مغزاها من جهة ذوي النوايا المشبوهة من القدح في اللغة العربية ورميها بالجمود والتخلف والزعيم انباطل انها صعبة تستحيل على الفهم وينفلق دونها الذهن ان هذه الآراء لا تمت للحقيقة بصلة .

وليس من مرامنا ايراد الكثير من الامثلة . ونجتزئ بالقليل عن الكثير والمثال عن التوسع . والحر تكفيه الإشارة ! .

وقد اعترف بفضل اللغة العربية وشمولها وسلاحتها لان تكون لغة عالمية كثير من المستشرقين . من ذلك ما قاله المستشرق ارنت رينان في كتابه تاريخ اللغات السامية : « من اغرب المدهشات ان تثبت تلك اللغة القوية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحاري عند امة من الرحل . تلك اللغة التي فانت اخواتها بكثرة مغرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها وكانت هذه اللغة مجهولة عند الامم من يوم عنيت ظهرت لنا في حلى الكمال الى درجة انها لم تتغير اي تغير يذكر حتى انها لم يعرف لها في كل اقطار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة لا نكاد نعلم من شأنها الا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة (3) »

وقال مثل ذلك فرينباغ الالماني حيث قال : « ليست لغة العرب اغنى لغات العالم فحسب بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العد .

ويقول : ريتشارد كوتهل : « لا يعقل ان اللغة الفرنسية والانجليزية تحل محل اللغة العربية وان شعبا له آداب غنية متنوعة كالآداب العربية ولغة مرنة لينة ذات مادة لا تكاد تفنى لا يخون ماضيه ولا ينبذ ارثا اتصل اليه بعد قرون طويلة عن طريق آباءه واجداده » .

مليوناً يكتبون اللغة العربية بالخط العربي وقد حدث هذا منذ الف سنة لهذه الامم الكثيرة وبه دونت آدابها وعلومها وفنونها . وقد رصدت الابحاث المتعددة عن مكانة اللغة العربية وانها اصخم اللغات ثروة وامواتا ومقاطع وحروفا وتعبيرات حتى انها تفوق اللغة الانجليزية في عدد الاصوات اذ بها 28 حرفا غير مكررة في حين ان اللغة الانجليزية بها 26 حرفا ومنها مكرر (1) .

وفي اللغة العربية حروف لاصوات لا توجد في كثير من اللغات الاخرى مثل الحاء والخاء والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف .

وقد اشتهرت اللغة العربية بالثراء من ناحية الالفاظ عن طريق المترادفات كثرة واضحة (400 اسم للاسد) (300 للسيف) (200 اسم للحية) (255 للناقة) (170 اسما للواء) (100 اسم للخمر) (70 اسما للمطر) كما تنوعت في الاساليب والعبارات كالحقيقة والمجاز والتصريح والكتابة .

ومن هذا الغنى والوفرة جاءت مقدراتها الكبرى في غزو الامبراطوريتين العظيمتين الفرس والروم وخاصة الاولى التي نبغ منها كثيرون امثال الفيروزا بادي وابن المنعم وابي نواس وابي حنيفة وقد تحولت اللغة العربية بعد الاسلام من لغة الشعر الى لغة الشرع والفقه واصبحت لغة علمية وترجمت عنها عشرات من المؤلفات الفلسفية والعلمية (2)

ولو ذهبنا نستعرض الاتوال ونستطلع الآراء في فضل اللغة العربية وميزاتها لطال البحث وخرج عن هدفه ...

ولكن بعض الناس قد يقول : هذا الرأي لاهل اللغة في لغتهم ومن أين لنا ان اصحاب اللغات الاخرين يؤيدون هذه الاتوال ويعتبرونها عادة ليس باعتمها التعصب والهوى ؟

وهذا التساؤل مدفوع بداهة بما تشتمل عليه اللغة العربية من خصائص وما تحويه من مميزات يشهد بها من عرف اللغة العربية من غير اهلها ممن لم ينفذ للتعصب الاعمى وخلا من الاغراض السيئة .

(1) حوت اللغة الانجليزية نحو الف كلمة عربية وهناك نحو 270 كلمة من اصل عربي تستعمل بكثرة في اللغة الانكليزية .

(2) اللغة العربية بين حمايتها وخصومها ص 3-6

(3) القياس في اللغة العربية ص 18 واللغة العربية بين حمايتها وخصومها لانور الجندي ص 25

وجوب قراءة القرآن باللغة العربية . ان اللغة العربية من أجمل اللغات في الوجود . ان خزائن المفردات في اللغة العربية غنية جدا ويمكن لتلك المفردات ان تزداد بلا نهاية ذلك لان الاشتقاق المتشابه والاتيقي يسهل ايجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة بحسب ما يحتاج اليه كل انسان على نظام معين .

وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية الى مقام المثل الاعلى في التعبير عن المقاصد .

ويقول يوليوس جرمانوس : « ان اللغة العربية مقاما ممتازا بين جميع لغات العالم فان تاريخها متصل غير منقطع منذ الف واربعمئة سنة . اما اللغة العربية فقد ثبتت على عاديات الزمن واحتفظت بكيانها كأنها اثر من آثار القدم ..

وقد كان لمرونة اللغة العربية وبلاغتها اثر في نفوس الفرس ومن بعدهم الاتراك حتى انهم اقتبسوا طائفة من الالفاظ العربية حلت محل ما يقابلها من الالفاظ التركية والفارسية وقد أصبح وجود الالفاظ العربية في تينك اللغتين من متمات الفصاحة والبلاغة .

وفي وسع الكاتب ان يورد مئات من الامثلة على ذلك (1) .

وختاما نسأل الله ان يوفق العرب والمسلمين لانهوض بلغتهم والاعتناء بها توصلنا الى فهم الدين ومقاصده وغاياته والى نشره بين الامم وأن يشعر علماء المسلمين بواجبهم حيال لغة القرآن فيبذلوا الجهود ويكرسوا الاوقات للعناية بها ورد الشبهات التي يروجها اعداء الدين والعرب ووضع المؤلفات التي تساعد على امتدادها وتقريبها الى الازهان .

ونتبنى ان يلتفت المثقفون الى دراسة اللغة العربية دراسة وعي واستنباط وتذوق وان لا يفتروا بأقاويل واهية تدعو الى الصد عنها والى الزهد فيها وتحية للعاملين في سبيل دينهم الحق وأمتهم المحيطة .

ان التباين الجزئي الذي يبدو بين اللهجات العربية لا بد ان يزول وعليه فيسكون لدينا منطقة عربية تتكلم لغة واحدة شاملة .

كان للعربية ماض مجيد وفي مذهبي انه سيكون لها مستقبل باهر .

ويقول مرجليوت استاذ اللغة العربية في جامعة اكسفورد : « اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقة ...

ويقول وليم ورل المستشرق الامريكى : « ان اللغة العربية لم تنتهقر في ما مضى امام اى لغة اخرى من اللغات التي احتكت بها وينتظر ان تحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي واللغة العربية لين ومرونة يمكنها من التكيف وفقا لمتغيرات هذا العصر .

وتتحدث جريدة يوركشير بوست الانجليزية عن انتشار اللغة العربية بين الشعوب الاسلامية واهميتها ثم تقول : ولا مراء ان في اللغة العربية من اعظم ينابيع المعرفة التي يفتخر منها العالم ، ويزداد عدد المتكلمين بها يوما بعد يوم وتتسع حدودها .

ويقول ساردسون روس : « العربية لغة القرآن والحديث وتأثيرها في العالم الاسلامي حق لا ريب فيه ليس ثمة دين عالمي آخر قامت فيه اللغسة الاصلية للكتب المقدسة بذلك الشأن الخطير كما هو في الاسلام ويرجع هذا في اساسه الى ذلك التأثير المعجز الذي احدثه القرآن في نفس كل من اعتنق الاسلام .

من اجل ذلك كان لزاما على من يتقبل الاسلام ان يتقبل معه اللغة العربية تلك اللغة التي نزل بها القرآن وهنا نجد لغة حية يتكلمها اولئك القوم الذين دعوا سكان الممالك التي فتحوها للدخول في الدين الجديد .

ويقول جورج سارتون : « وهكذا كانت العربية لغة الضاد ولغة الوحي ولغة اهل الجنة اكد الرسول

(1) انظر كتاب اللغة العربية بين حمايتها وخصومها نقد اورد فيه هذه الاموال بتوسع .